نوري جعفر: التفكير حق مشاع لكل الناس

عصام عبد العزيز المعموري

ما الإبداع ؟ وما مكوناته ؟ وما طبيعة العملية الإبداعية ؟ وما مستويات الإبداع ؟ وهل هناك مراحل للعملية الإبداعية ؟ وهل يمكن تعليم الإبداع والتفكير الإبداعي ؟ وما الخصائص التي تميز المبدعين من غيرهم ؟

ومن الباحثين الذين حاولوا تقديم تفسير للعملية الإبداعية كان الأستاذ الدكتور (نوري جعفر) رحمه الله الذي درّس في كلية التربية جامعة بغداد لسنوات عديدة.

لقد وضع د. نوري جعفر تفسيرا» عراقيا» للإبداع تفرد به عن غيره من المنظرين ، وقد وضع هذا التفسير في كتابه (الإبداع وآليات الدماغ) عام ١٩٧٤ بعد دراسة طويلة استغرقت (١٢) عاما» بدأها عام ١٩٦٢ حيث يرى أن ((قشرة مخ الإنسان تنفرد بوجود مناطق مخية خاصة بالإنسان وحده تسمى المناطق المخية الثلاثية وتنقسم هذه المناطق إلى قسمين : حسية وجبهية ، تقع الأولى من القسم الأعلى الأوسط في القشرة المخية وعلى جانبيها الأيمن والأيسر ، ووظيفتها الأساسية الإدراك الحسي ، وهي الأساس الجسمي (المادي : الدماغي) ، أما المناطق الجبهية فتقع في القسم الأمامي الأعلى في القشرة المخية ووظيفتها الأساس الإدراك الفعلي ، وهي الأساس المخي (المادي : الجسمي) وهي أرقى مناطق المخ وأحدثها من الناحية التطورية)) (٢).

كما يرى د. نوري جعفر أن المناطق المخية الحسية الثلاثية هي الأساس المخي للإبداع في مجال الفن ، في حين أن المناطق المخية الجبهية الثلاثية هي الأساس المخي للإبداع في مجال العلوم الطبيعية والنظرية ، وعلى هذا الأساس بإمكان الناس أن يبدعوا إذا هيئت لهم الظروف البيئية الملائمة واستثمروا مناطقهم المخية الثلاثية إلى حدها الأقصى في الموضوع العلمي أو الفني الذي يميلون نحوه منذ سن مبكرة .

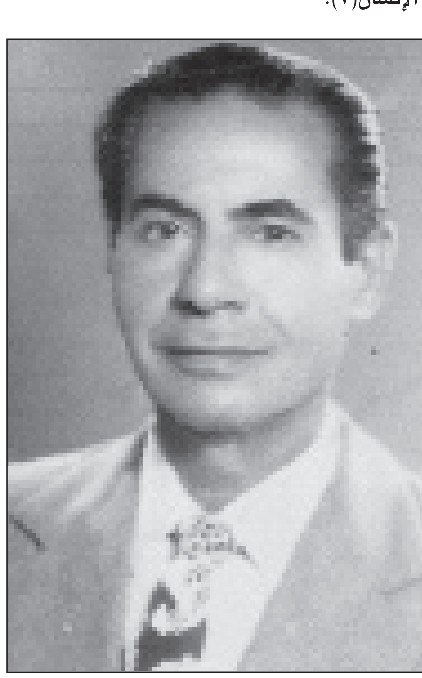
لقد ظل د.نوري جعفر يردد منذ عام ١٩٧٤ حتى وفاته في ليبيا عام ١٩٩١ (أن التفكير والإبداع حق مشاع لكل الناس الأسوياء عند توافر الظروف المناسبة لتحفيزهما وتنميتها) وقد كان يدعو إلى تدريس مهارات التفكير للأطفال والشباب والكبار وكان يخالف الرأي القائل أن (الإبداع لا يمكن تعلمه أو تعليمه وأنه محدد بعوامل الوراثة الفطرية أو الجينات) الذي كان يتبناه كل من الفيلسوف اليوناني أفلاطون وعالم الوراثة البريطاني (كالتون) وعالم النفس الألماني المولد البريطاني الثقافة والعمل (ايزنك) وغيرهم ، إذ كان (ايزنك) يشير في أكثر من مناسبة إلى أن ٨٪ من العوامل التي تسهم في تحديد الذكاء ومن ثم الابتداع يرجع إلى المحددات الوراثية الجينية و٢٪ للعوامل الحضارية والاجتماعية والتربوية (٣).

إن القدرة على الإبداع كما يراها د. نوري جعفر صفة مكتسبة تنشأ بالتدريب والممارسة نتيجة تفاعل إمكانات الشخص المخية مع العوامل البيئية المحيطة ولاسيما الثقافية منها في موضوع تخصصه ، أي أن الجانب المبدع يحصل في كل عمل ذهني يقوم به الشخص نتيجة الممارسة الناجمة عن تفاعل الفرد والإمكانات الاجتماعية والثقافية المتوافرة له (٤).

وكان د. نوري جعفر يدعو إلى تغيير أنماط التدريس التقليدية السائدة في مدارسنا في كتابه (التقدم العلمي والتكنولوجي ومضامينه الاجتماعية والتربوية) وكان يدعو إلى ضرورة تحويل الصف إلى مختبر يحضر فيه الطلاب للاكتشاف والبحث وان كان مايكتشفونه قد توصل إليه غيرهم : أي أنهم يتوصلون بأنفسهم وبمعاونة المدرس والكتاب إلى الاستنباطات الجديدة – بالنسبة لهم – وعلى وفق مستوى تطورهم الثقافي واستنادا» إلى تفكيرهم المستقل ، لا أن يقتصر الأمر على مجرد تلقي المعلومات القديمة وترديدها بشكل آلي في أغلب الأحيان (٥) .

وفي مجال البحث العلمي كان د.نوري جعفر يرى ضرورة سير البحث في المجال العلمي في البلاد العربية في جبهة عريضة متماسكة ذات ثلاثة جوانب متلاحمة متكاملة ومتبادلة الأثر، يتمثل الجانب الأول فيها بالجانب النظري الأكاديمي في الرياضيات والعلوم الطبيعية الأساسية : الفيزياء ، الكيمياء، علوم الحياة . ويتمثل الجانب الثاني فيها بالجانب التطبيقي (التكنولوجي) الذي تستخدم فيه العلوم التطبيقية لأغراض التنمية الاقتصادية والاجتماعية استخداما» مباشرا» في حقل الإنتاج الصناعي والزراعي وفي مجالات الخدمات (التعليم ، الطب ، المواصلات) أما الجانب الثالث فهو الجانب السيكولوجي المتعلق بتهيئة العنصر البشري الكفء والمدرب والملتزم بقضايا مجتمعه وبالمجتمع الإنساني أيضا» (٦).

لقد كان د. نوري جعفر ينحى منحى فسلجيا» (Physiological Tendency) في تفسيره عملية الإبداع بعد أن استوعب آراء أبرز منظري هذا المنحى وهم عالم الفسلجة الألماني برودمان Brodmann الذي قسّم فيه المخ على مناطق متعددة لكل منها وظائف فسلجية محددة يقع بعضها فوق بعض (بخلاف التقسيم التشريحي المألوف : مخ ، مخيخ ، ونخاع مستطيل .. الخ) وعالمي الفسلجة الايطالي ماكون Magon وماروزي Marosi اللذين اكتشفا الجهاز المشبك (Reticular Formation) الذي يقع أسفل الدماغ وهو العضو المسؤول عن تنشيط الدماغ ، وعالم الفسلجة الروسي بافلوف Pavlov صاحب النظرية في خصائص الجهاز العصبي المركزي عند الإنسان ومضامينها السيكولوجية والعالم الأمريكي كبرز Kappers صاحب الآراء العلمية الحديثة في تفسير نشوء الجهاز العصبي المركزي وتطوره في المملكة الحيوانية حتى بلوغه أعلى مراتبه لدى الإنسان(٧).



عراقيون
من زمن التوهج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

مدير التحرير: علي حسين

التصميم: نصير سليم

الغلاف برؤية: علاء كاظم

التصحيح اللغوي: عبد العباس الأمين

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون